مَلَفّ الكِتَاب وَالعِتْرَة

الجُزءُ الثَّالِث: الكِتَابُ النَّاطِق

الحَلَقَةُ الثَّالثَة بَعد العَاشِرَة ٢٠١٦/٢/١٢م

يا زهـــــراء

بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم

سَلَامٌ عَلَيْك يَا وَجْه الله الَّذِيْ إِليهِ يَتوجَّهُ الأَوْلِيَاء.. بَقِيَّة الله.. مَاذَا فَقَدَ مَنْ وَجَدَك وَمَا الَّذِيْ وَجَدَ مَنْ فَقَدَك..

سَلَامٌ عَلَيْكُم إِخْوَتِيْ أَخوَاتِيْ أَبْنَائِيْ بَنَاتِيْ..

كان الحديثُ فيما تقدَّم مِن الحلقاتِ الماضية في فِناءِ شيخِنا، شيخِ الطائفة، الشَّيخ الطوسيّ رحمةُ الله عليه، ولا زالَ حديثي يتواصلُ في نفسِ هذه الأجواء، وقد اِخترتُ عُنواناً لهذه الحلقة، ورُبَّما لا أستطيعُ إكمالَ الحديثِ فيها، فيستمرُّ حديثي أيضاً في الحلقةِ القادمة إنْ شاء الله تعالى في يوم غَد:–

الصَّنميَّةُ تَصنعُ الأوهام..؟!

حين تُسيطرُ الصَّنميةُ على عقلٍ من العُقول فإنَّ هذا العقل يبدأُ بِصناعة الأوهام، فيصنعُ أوهاماً وأوهاماً وأوهاماً باتجاهِ صَنَمِهِ وقِبلتهِ الَّتي يُصنِّمُها. الشَّيخُ الطوسيّ رَحمةُ اللهِ عليه، كمصداق، بقي تأثيرهُ إلى

يومنا هذا، وكأنَّهُ لم يَمُت، وكأنَّهُ لم يأتِ أحدٌ من بعدهِ، فلا زالت آثارهُ موجودةً وبقوّةٍ في الوسطِ الشيعيّ، وكلُّ البِناء الحوزويّ منذُ أيَّامهِ وإلى هذه اللحظة يستندُ إلى الأسس الَّتي وضعها شيخُ الطائفة، وفعلاً هو يستحقُّ اللقب ويصدُقُ عليهِ، لأنَّ الطائفة قد أسَّست ثقافتَها وعقائدَها وفِقهَها وفِكرَها على الأُسس الَّتي وضعها الشَّيخُ الطوسيّ.

- **ما هو السِرُّ في ذلك؟!**
- **وما هو السَّببُ وراء استمراريةِ منهجِ الشَّيخ الطوسيّ إلى يومنا هذا؟!**

هُناك من رَبط القضيّة بالغيب، وتلك هي العُقول الَّتي نخرتها الصَّنميةُ إلى أبعدِ الحدود، فجعلتها تصنعُ الأوهام تلو الأوهام..!! الغريبُ أنَّ عُلماءنا ومراجعنا حين يُوجِّهون أنظارهم إلى حديثِ أهل البيت وإلى دراسةِ أهل البيت صلواتُ اللهِ وسلامُه عليهم أجمعين يتعاملون مع أهل البيت ومع حديثِهِم بالقلمِ والمسطرة، ويُفرِّغون الموضوع من الغيبِ تماماً مع أنَّهم هم مصدرُ الغيب، ويتعاملون مع حديثِهِم وكأنَّهُ خبرٌ في جريدةٍ لابُدَّ من التأكُّد منه وهم أصلُ الغيب وحقيقة الغيب، ولكن حين يكون الكلامُ في أجواءِ العلماء والمراجع، نجدهم يفتحون بحراً من الغيب فيُغطِسون المراجع والعُلماء وحديثَهُم وآثارَهُم فيه، ويربطون شؤوناتهم العادية والعادية جدّاً به، وهُم بشرٌ عاديون خطأُهم أكثرُ من صوابهم كحالي وحال غيري من بني آدم، وسيئاتهم أكثرُ من حسناتهم، واشتباهاتُهم أكثرُ من حكمتهِم، ومعاصيُهم أكثرُ من طاعتهِم، هُم أُناسٌ عاديون، لماذا يُغمَسون في الغيبِ غمساً وهم أبعدُ ما يكونون عن الغيب كحالي وحالكُم وحالِ جميعِ النَّاس، أمَّا حديثُ أهل البيت فيتعاملون معهُ بالقلمِ والمسطرة، مع أنَّ حديثَهم هو المنغمسُ في الغيب والآتي من يُنبوع الغيب، من مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّد صلواتُ اللهِ وسلامُهُ عليهم أجمعين. لذا حين يكونُ الحديث عن استمراريّة آثار الشَّيخ الطوسيّ إلى هذا اليوم، يُربَطُ هذا الأمر بالغيب، وما علاقته بالغيب؟!

فهل الغيب يربطنا بفكرِ الشافعيّ؟!

وهل الغيب يربطنا بالعقائد المُقصِّرة؟ وهل وهل وهل..!!

ما علاقة ذلك بالغيب؟!

القضيّة بحاجةٍ إلى درسٍ وتحليلٍ وهذا هو الَّذي سأتعهَّدُ به في هذه الحلقة.

- **هناك مجموعةٌ من الأسباب أدَّت إلى استمرار منهج الشَّيخ الطوسيّ:**

السَّببُ الأول: سأشير إلى أهمِّ الأسباب ولا أعتقد أنَّني سأغطي الموضوع في هذه الحلقة فأنا بحاجةٍ ربَّما إلى حلقةٍ ثانية، أهمُّ الأسباب أو السَّببُ الأول هو قُوَّةُ مرجعيّة الشَّيخ الطوسيّ، قُوَّة مرجعيّتِهِ هي سببٌ من الأسبابِ المهمَّةِ الَّتي أدَّت إلى بقاءِ آثارِهِ إلى هذا اليوم، وأعتقد أنَّها ستستمر فالواقعُ الشيعيّ يشيرُ إلى ذلك، وقُوَّةُ مرجعيّة الشَّيخ الطوسيّ لم تأتِ عبثاً وإنَّما جاءت امتداداً لمرجعيّتين قويّتين جدّاً، مرجعيّة الشَّيخ المفيد ومرجعيّة السيّد المرتضى. قبل الشَّيخِ المفيد كانت المرجعيّة الشيعيّةُ منزويةً وليست معروفةً إلى حدٍّ كبير، الحوزةُ الدينيّةُ الشيعيّةُ كانت في بغداد، وأنا هُنا لا أريد أنْ أُؤرِّخَ وأنْ أتحدَّث عن تأريخ المرجعيّة منذُ نهايةِ عصرِ الغيبة الصُغرى، لكن بالمُجمل أقول قبل الشَّيخ المفيد كانت المرجعيّة الشيعيّةُ منزويةً وكانت على الحاشية، كانت على جانبِ الواقع الاجتماعيّ، والأسبابُ معروفة، وهي سياسيةٌ بالدرجة الأولى واجتماعيةٌ بالدرجة الثانية، فالسياسةُ مُعاديةٌ لأهلِ البيت وأتباعهم، والمجتمعُ الأعَمُّ الأغلب هم أعداءُ أهل البيت وهم المخالفون لأهل بيت العصمة، ولكن لَمَّا جاء البويهيّون وبدأت سُلطتُهم تتوسَّع في العراق وصار زِمامُ الأمرِ بيدهم، تغيّر الوضع السياسيّ وتغيّر وضع الشِّيعة عُموماً، على المستوى الاجتماعيّ، وعلى المستوى الاقتصاديّ، وحتَّى على المستوى السياسيّ، وأعتقد أنّنا مررنا بتجربةٍ مُشابهة، وهي التجربة العراقيّة، فالمرجعيّة الشيعيّةُ في النَّجف ما كان لها دورٌ واضح في السَّاحة السياسيّةِ ولا في السَّاحة الاجتماعيّة، ولكن بعد سُقوط النِّظام الصّدامي المجرم ودخول الأحزاب الدينيّة الشيعيّة واستطاعتها أنْ تأخذ حصَّةً كبيرةً من السُلطة، فُسِح المجال للمرجعيّة الشيعيّة وهي تتمثّلُ في وقتنا الحاضر بمرجعيّة السيِّد السيستاني، لو لم يكن

هذا التغيُّر في الوضع السياسيّ في العراق لَمَّا كان لمرجعيّة السيّد السيستاني هذا التأثير وهذا النفوذ، فالجانبُ السياسيّ لهُ التأثير الكبير في واقع الحياة. وهكذا التغيُّر السياسيّ الَّذي حدث في بغداد بسبب البويهيّين وانفساح المجال للشِّيعةِ، لعُلمائهم ولزعمائهم وحتَّى لعامَّتهم، ممّا أدّى إلى تبدّل الأوضاع، وأعتقد في الحلقات الماضية مرَّ علينا بعضُ شيءٍ من الصُور مِمَّا جاء مذكوراً في كتاب الكامل في التأريخ لابنِ الأثير، حين كُنت أنقل لكم صوراً مِمَّا يرتبط بتأريخ الشَّهادةِ الثالثةِ في الأذانِ والإقامة في الجوِّ الشيعيّ، مرَّت علينا بعض الصُور الَّتي تُشير إلى تغيُّر الواقع السياسيّ والاجتماعيّ في بغداد وبشكلٍ خاص في الجوِّ الشيعيّ، فبسبب هذا التغيُّر السياسيّ صارت مرجعيّة الشَّيخ المُفيد مرجعيّة متميّزةً، بل يُمكنني أنْ أقول بأنَّ منظومة المرجعيّة الشيعيّة بشكلها الرسميّ المتكامل بدأت بمرجعيّة الشَّيخ المُفيد رحمةُ الله عليه، هذا لا يعني أنَّهُ لا يُوجد مراجع قبل الشَّيخ المُفيد، قطعاً هُناك مجموعة من المراجع قبل الشَّيخ المُفيد ولكن بشكلٍ رسميّ وبشكلٍ واضح وبشكلٍ مُتكامل المرجعيّة الواضحة الأُولى هي مرجعيّة الشَّيخ المُفيد، وكان للجانب السياسيّ الأثر الكبير في سلطتها وقُوّتها، مع المواصفات والخصائص الَّتي يمتلكها شيخنا المُفيد رحمةُ الله عليه، ولكن الجانب السياسيّ لهُ حِصَّةُ الأسد في ذلك، وبعد وفاة شيخنا المُفيد انتقلت المرجعيّة الشيعيّة للسيّد المرتضى، وتُوفي السيّد المرتضى سنة ٤٣٦ للهجرة، الشَّيخُ المفيد توفي سنة ٤١٣ للهجرة فآلت المرجعيّة للسيّد المرتضى، وبقي في المرجعيّة إلى سنة ٤٣٦ وهي فترةٍ زمانيةٍ طويلة وكانت مرجعيّتهُ مرجعيّة نافذة وقويّة، وبعد وفاة السيِّد المرتضى سنة ٤٣٦ انتقلت المرجعيّة إلى شيخنا الطوسيّ، في البداية كان في بغداد وبعد ذلك انتقل إلى النَّجف، الشطر الأوّل من مرجعيّته كان في بغداد والشطرُ الثّاني كان في النَّجف وتوفي ودُفِن في النَّجف، فجاءت مرجعيّة الشَّيخ الطوسيّ امتداداً للمرجعيّتين السابقتين، مرجعيّتان قويتان المُفيد والمرتضى وللعامل السياسيّ تأثيرٌ كبير في ذلك واستمرَّ هذا الأمر مع شيخنا الطوسيّ فكانت تلك القُوَّةُ الَّتي صَاحَبت مرجعيّة المُفيد ومرجعيّة المرتضى، بقيت مُصاحبةً لمرجعيّة الشَّيخ الطوسيّ، وكانت علاقتهُ أيضاً في بداية مرجعيّته جيّدةً وحسنة مع السُلطة، لذلك أعطتهُ السُلطةُ آنذاك كُرسيّ الكلام، وهذا موضوعٌ له تفصيلهُ ولا أريد الخوضَ فيه، فإنَّني لا أُريد أنْ أُحوِّل البرنامج إلى قِصَّةٍ تأريخيّة، إنَّما أحاول أنْ أُسلِّط الضوء على الأسباب الَّتي أدَّت

إلى استمرارِ تأثير الشَّيخ الطوسيّ في السَّاحة العلميّة وفي السَّاحة الثقافيّة وحتَّى في السَّاحة الدينيّةِ لعموم الشِّيعة، هذا سببٌ من الأسباب وهو قوَّةُ مرجعيّتِهِ.

السببُ الثَّاني: السَّببُ الثَّاني سببٌ شخصيٌّ في الشَّيخ الطوسيّ، قُوَّة المرجعيّة قد يكون لشخصية الشَّيخ الطوسيّ مدخليّة فيها ولكنَّها أساساً بدأت من الجوِّ السياسيّ ومن المراجع السابقين الَّذين سبقوه، السَّببُ الثَّاني هو نبوغ الشَّيخُ الطوسيّ، كان الشَّيخُ الطوسيّ يتميّزُ بذكاءٍ ونبوغٍ واضح، وأدلُّ دليلٍ على ذلك مؤلَّفاتهُ الكثيرةُ في مُختلفِ الاختصاصات، وأنَّهُ فَتَح باباً جديداً، بغضِّ النَّظر نتفّقُ معهُ في ذلك أم نختلف، فهو بالنتيجة أسَّس تأسيساً جديداً، ولو لم يكن يمتلك نُبوغاً وذكاءً لَمَا استطاع أنْ يُؤسِّسَ هذا التأسيس.

هناك كلمةٌ مرَّت علينا في الحلقة الماضية ذكرها جلالُ الدين السيوطي في كتابهِ (طبقاتُ المُفسِّرين)، جلالُ الدين السيوطي متوفى سنة ٩١١ للهجرة، طبقاتُ المُفسِّرين بتحقيق عليّ محمّد عُمر، النَّاشر مكتبة وهبة، القاهرة، في صفحة ٩٣، الترجمة ٩١–: **مُحمَّد ابنُ الحَسن الطوسيّ، شَيخُ الشِّيعةِ وعالِمُهم**.. إلى أنْ يقول:–**قَدِم بَغداد وتفنَّنَ وتفقّه للشافعيّ–**: هذه كلمة (تفنَّن) أحسَبُها خطيرةً..؟! (**وتفنَّن وتفقَّه للشافعيّ**)، ما مُرادهُ؟ هل هو المدح بحسبِ نظرهِ.! فإذا كان مدحاً بحسبِ نظرهِ سيكون ذمَّاً بحسب نظرنا!! فما المراد تفنَّنَ وتفقّه للشافعيّ؟ هو تفقّه للشافعيّ هذه القضيّة مفروغ منها، لكن ما المراد تفنَّن في تفقّههِ للشافعيّ؟! فهل تفنَّن في إدخال الفقهِ الشافعيّ في الجوِّ الشيعيّ هل مُرادهُ هو هذا؟! أو مُرادهُ شيءٌ آخر!! وحتَّى لو كان هذا مُرادهُ، فإنَّ هذا أيضاً ينمّ عن نبوغِ الشَّيخ الطوسيّ وعن ذكائهِ.

فنبوغ الشَّيخ وذكاءُه إضافةً إلى تفرُّدِهِ بالزعامةِ العلميّةِ في الجوِّ الدينيّ الشيعيّ، وإتيانهِ بمنهجيّةٍ جديدة لم تكن مألوفةً في الواقع الشيعيّ، وكانت هذه المنهجيّةُ تتماشى مع منهجيّةِ عُلماء السُلطة، علماءُ السُلطة هم عُلماءُ مذاهب المخالفين، وهذه قضيّة بشريّة موجودةٌ على طولِ التأريخ، أيَّةُ قضيّة؟ قضيّة يدرسها عِلمُ الاجتماع ويدرسها عِلم النفس أيضاً، انبهارُ المغلوبِ بالغالب من حيثُ لا يشعر..؟! المغلوب ينبهرُ بالغالب

من حيثُ لا يشعر، وينطبعُ هذا المعنى في لا شعورِه، وفي لا وعيِه، فتراهُ مُعجباً من جهةٍ في طبقة اللا شعور، في نفسِ الوقت الَّذي هو يعترضُ ويرفضُ هذا الطرف في طبقة الوعي وفي طبقة الشعور، ادرسوا تأريخ المُعارضات، وأخاطب الشِّيعة في العراق ادرسوا المعارضة الشيعيّة إنَّها في نفسِ الوقت الَّذي تعترضُ وتقفُ مُعارضةً لصدام هي في جهةٍ أُخرى تنبهرُ به..!! لو درسنا المعارضة الشيعيّة العراقيّة وسائر المعارضات في العالم ليس فقط المعارضة الشيعيّة العراقيّة، لأنَّ المعارضة مغلوبة، والمغلوبُ ينبهرُ بالغالب، انبهارُ الشرقِ بالغرب هو انبهارُ المغلوب بالغالب، وهكذا، ليس الحديثُ هنا عن هذه القضيّة، وإنْ كانت هذه القضيّة بالغة الأهمية، لكنَّني لا أجدُ وقتاً للحديث عن كلِّ صغيرةٍ وكبيرة، فعلماء الشِّيعةِ الَّذين كانوا في عصرِه، وجدوا في منهجيّة الشَّيخ الطوسيّ ما يجعلهم قريبين من الجهة الَّتي ينبهرون بها، أي من الجهة الغالبة، فالأموالُ والقُصور والسُمعةُ وخفقُ النِّعال كُلُّه كان لعلماء السُلطة، لعلماء المذاهب المُخالفة لأهل البيت، أمَّا عُلماء الشِّيعةِ فكانوا قبل مرجعيّة الشَّيخ المُفيد يعيشون درجةً من درجات التقيّة، ويعيشون انعزالاً وابتعاداً عن الواقع الاجتماعيّ العام، وأصابعُ الاتهامِ موجّهةٌ إليهم من السُلطةِ ومن المجتمع، فضلاً عن الصِّراع العقائديّ والانقسامات العقائديّة داخل التكوين الشيعيّ، كُلُّ هذا سيجعل في الجانب النفسيّ المختفي وفي طبقة اللا شعور هذه الحالة حالة الانبهار والرغبة في الاقترابِ من الجوِّ الَّذي يعيشُ فيه الغالب.

الشَّيخُ الطوسيّ جاء بمنهجيّةٍ جديدةٍ تختلفُ عن منهجيّة الَّذين سبقوه، إنْ كان على المستوى الفقهيّ فإنَّهُ جاء بمنهجيّةٍ تختلفُ عن منهجيّة الصَّدوق، فللصدوقِ وأبيه منهجيّةٌ فقهيّةٌ مُعيَّنة واضحةٌ في كتبهم، والشَّيخُ المُفيد منهجيّتهُ تختلفُ عن منهجيّةِ الشَّيخ الصَّدوق، وكذاك السيِّد المرتضى، وهناك تأثيرٌ واضح للفكر الاعتزالي في كتب السيّد المرتضى، وأنا الآن لستُ بصدد الحديث عن هذه القضيّة، وبالمناسبة مثلما أرَّخت الشافعيّةُ للشَّيخ الطوسيّ في كتبهم فقد أرَّخ المعتزلةُ للسيِّد المرتضى في كتبهم وعدّوه رأساً في الاعتزال، لا أريد الخوض في هذه القضيّة، ولو كان الحديثُ عن هذه الجهة، فإنّنا نأتي بالكتب والمصادر والمراجع الفكريّة والعلميّة ونشرح المسألة. وبالنتيجة هناك للمعتزلةِ أيضاً تأثيرٌ واضح، تأثير واضح حتَّى في

فكرِ شيخنا الطوسيّ في فكره العقائديّ. على أيِّ حال، المنهجيّةُ الجديدةُ الَّتي جاء بها الشَّيخُ الطوسيّ في الجانب الفقهيّ هي أقرب ما تكون إلى منهجيّة الشافعيّ ومرَّت علينا بعض الشواهد وستأتينا شواهد أخرى في الحلقات القادمة، فالبرنامج طويل والمطالبُ كثيرة، وستأتينا شواهد وأمثلة أخرى عديدة.

الشَّيخُ الطوسيّ جاء بمنهجيّةٍ فقهيّةٍ جديدة، ومثالها الواضح هو ما جاء في كتابهِ (المبسوط)، ومرَّ علينا أنَّ عنوان كتاب الشافعيّ بحسب فهرست ابن النّديم (المبسوط في الفقه)، أمَّا عنوان كتاب شيخنا الطوسيّ (المبسوط في فقهِ الإماميّة)، في كتابهِ (المبسوط) تتضح الصُورة جليةً جدّاً وواضحة جدّاً في التأثّر بفكر الشافعيّ وبمنهجيّة الشافعيّ، مرَّت علينا أمثلة وستأتينا أمثلة وأمثلة تؤكِّد هذه الفكرة وتؤيّد هذا المطلب.

في المستوى الفقهيّ، الشيخُ الطوسيّ مازجَ بين منهجيّة الشيخ المفيد والسيّد المرتضى والشافعيّ، فما جاء في كتابِ المبسوط هو ممازجة بين ما كان عليهِ الشَّيخُ المفيد وما كان عليهِ السيِّد المرتضى وما ترسَّخ في ذهنِ شيخنا الطوسيّ من تأثرٍ واضح بالثقافة الشافعيّة وبالفكر الشافعيّ، فجاءت المنهجيّة الفقهيّة للشَّيخ الطوسيّ على أنّها مُمازَجة بين منهجيّة المفيد والمرتضى والشافعيّ، وفي الجانب العقائديّ مازَجَ الشيخُ الطوسيّ بين فكرِ الأشاعرةِ والمعتزلة وما جاء عن أهل البيت.

الشَّيخُ الطوسيّ هو أوّل من وضعَ المُقدِّمات لتأسيسِ العقيدة الشيعيّة على الأصولِ الخمسة، أصولُ الدين الخمسة: (التوحيدُ، العدل، النبُوَّةُ، الإمامة، المعاد)، ولا توجد آية في الكتاب الكريم تشير إلى هذه الأصول، ولا توجد روايةٌ واحدة عن الأئِمَّة ولو ضعيفة السَّند بحسب قواعدِ علم الرِّجال النَّاصبي تُشير إلى أنَّ أصول الدين خمسة، إنَّها مُمازجةٌ من الشَّيخ الطوسيّ بين الفكرِ الأشعريّ الَّذي جعل أُصول الدّين ثلاثة: (التوحيد، والنبوة، والمعاد)، والفكر المعتزليّ الَّذي جعل أصول الدين أربعة: (التوحيد، والنبوة، والمعاد، وأضاف إليها العدل)، فالعدلُ هذه إضافةٌ معتزليّة وإلَّا في عقيدتنا الشيعيّة التوحيدُ هو العدل والعدلُ هو التوحيد، ولا يُمكن أنْ نجعل التوحيد قائماً برأسهِ من دون العدل، كيف يُمكن أنْ يصحَّ التوحيد من دونِ العدل!! التوحيدُ

والعدلُ شيءُ واحد، العدلُ جزءٌ من التوحيد بل هو التوحيد، المعتزلةُ جعلوا العدل أصلاً برأسهِ في مواجهة الأشاعرة، فجاء شيخنا الطوسيّ فأخذ هذا النِتاج الأشعريّ المعتزليّ وأضاف إليهِ الإمامة أصلاً خامساً، فكانت أصول الدين خمسة. وهذا الموضوع تحدّثتُ عنه فيما سلف، كان في بالي أنْ أتحدّث أكثر في هذه القضيّة ولكنَّني أرى الوقت يجري سريعاً وإذا بسطتُ القول فيها فستكثُر الحلقات وأنا لا أُريد لحلقات هذا البرنامج أنْ تكثُر، إذا كَثُرت هذه الحلقات واستمرَّ البرنامج إلى سنة أو أكثر من سنة أعتقد أنَّ المُشاهِد سيتعب وبعد ذلك سوف لنْ يستطيع أنْ يُحصِّل على الثَّمرة من كُلِّ هذا الكلام، لكنَّني أُرشِد الَّذين يُتابعون حديثي، أنا جئت بالمصادر ولكنَّني كما قُلت قبل قليل الوقتُ لا يكفي، هذا هو كتابُ (الاعتقادات) للشَّيخ الصَّدوق، راجعوا الفهرست، راجعوا العناوين، إذا راجعتم عناوين الفهرست في كتابِ الاعتقادات للشَّيخ الصّدوق فإنَّكم ستجدون عناوين للعقائد لا يوجد فيها أثر لهذا التقسيم الخُماسي لأصول الدين، الشَّيخُ الصَّدوق توفي سنة ٣٨١، والشَّيخُ الصَّدوق يُمثِّل الثقافة العقائديّة لعصرهِ الَّذي هو امتداد للعصور المتصلة بعصر التشريع وعصر النَّص، فحينما تُراجعون الفهرست لكتابِ الاعتقادات للشَّيخ الصَّدوق لن تجدوا هذا التقسيم الخُماسي وهذا التأصيل الخُماسي، كان في نيَّتي أنْ أقرأ الفهرست لكنْ أرى الوقت يجري سريعاً، وكذلك لو رجعتُم إلى كتاب الشَّيخ المُفيد (أوائلُ المقالات)، ورجعتُم إلى كتابهِ: (تصحيح الاعتقاد)، فإنَّكم لنْ تجدوا هذا التقسيم الخُماسي الَّذي اتّبعهُ عُلماء الكلام في الوسط الشيعيّ.

ولكن لو رجعنا إلى كتاب: (الاقتصاد فيما يجبُ على العباد)، لو رجعنا إلى الفهرست سنجد بداية التأسيس لهذا التأصيل الخُماسي فنجد أنّ كلَّ الموضوعات قد وُضعت ضمن هذه المنهجيّة، منهجيّة أصول الدين الخمسة، والَّتي ثبَّتها وأشاعها بعد ذلك العلامةُ الحلّي والعُلماء المعاصرون له واستمرَّ الأمرُ إلى يومنا هذا، ففكرة أنّ أصول الدينِ خمسة لا هي من القُرآنِ ولا هي من أهل البيت صلواتُ اللهِ وسلامُه عليهم أجمعين، ولذا قال العلامةُ الحلّي في كتابهِ: (الخُلاصة) وهو يتحدّثُ عن الشَّيخُ الطوسيّ؟

قال–: **شَيخُ الإماميّة، رئيسُ الطائفة، جليلُ القَدر، عظيمُ المنزلة**.. إلى أنْ يقول–: **وهو المُهذِّبُ للعقائدِ في الأصولِ والفروع:–** ومرَّ علينا كلامهُ وهو يقول:–**وكان يقولُ أوّلاً بالوعيد ثُمَّ رجع عن هذا القول)**، أنا أقول للعلّامة الحلّي إذا كان الشيخُ الطوسيّ مُختلّاً في عقيدتهِ مثلما تقول فكيف يكونُ مُهذِّباً للعقائدِ في الأصولِ والفروع..؟! وإذا كان الشَّيخُ الطوسيّ متأثراً بالشافعيّ فكيف يكون مُهذِّباً للعقائدِ في الأصولِ والفروع؟! على أيِّ حال، ما جاء بهِ الشَّيخُ الطوسيّ رحمةُ الله عليه استمرَّ إلى زمن العلّامة ومن زمنِ العلّامةِ إلى يومنا هذا!!

نفسُ الكلام، السيِّد مهديّ بحر العلوم رحمةُ الله عليه، في كتابهِ الرِّجالي المعروف بـ(الفوائد الرِّجالية) أيضاً حين يذكر الشَّيخ الطوسيّ، وهذا هو الجزء الثَّالث من رِجال السيّد بحر العلوم، منشورات مكتبة الصَّادق، طِهران، إيران، صفحة ٢٢٧ وما بعدها، يقول–: **شيخُ الطائفةِ المُحقَّة، ورافعُ أعلام الشريعة الحقَّة، إمام الفِرقة بعد الأئِمَّة المعصومين، وعِمادُ الشِّيعةِ الإماميّة في كلِّ ما يتعلّقُ بالمذهب والدين:** نفسُ الكلام الَّذي أقوله دائماً بأنّ هذه القضيّة مستمرة، والسيّد مهديّ بحر العلوم رضوان الله تعالى عليه، توفي ١٢١٢ للهجرة الشريفة:–**وعِمادُ الشِّيعةِ الإماميّةِ في كُلِّ ما يتعلّقُ بالمذهب والدين مُحقِّقُ الأُصولِ والفروع ومُهذِّبُ فنون المعقول والمسموع شيخُ الطائفةِ على الإطلاق ورئيسُها الَّذي تُلوَى إليهِ الأعناق.**

فهذا هو المنهجُ العقائديّ الَّذي جاء بهِ الشَّيخُ الطوسيّ، فقد مازجَ في المنهج الفقهيّ بين طريقة المُفيدِ والمرتضى والشافعيّ، وفي الجانب البحثي العقائديّ مازج بين طريقة الأشاعرةِ والمعتزلة وما جاء عن أهل بيت العصمة صلواتُ اللهِ وسلامُه عليهم أجمعين وهو الَّذي فتحَ الباب بهذه السِّعة.

إذا ما ذهبنا مثلاً إلى (الإجازة الكبرى)، إجازة العلّامة الحلّي لبني زُهرة، وهو علمٌ سمّوهُ بعلمِ الإجازات وما هو بعلمٍ، ولكن هذه المجموعة: (عِلمُ الرِّجال، علمُ الطبقات، علمُ الإجازات، عِلم الدّارية)، هذه المجموعة جِيء بها من أعداء أهل البيت وصارت عِلماً وعلوماً، على أيِّ حال، نقرأ في إجازة العلّامة

الحلّي، وهو قد دخل من الباب الواسع الَّذي فتَحَهُ الشَّيخُ الطوسيّ، فيُعدِّد مشايخَهُ ويُعدِّد الكُتُب الَّتي يُجيز للسّادةِ من بني زُهرة، ويُجيزهُم أنْ يُجيزوا للآخرين روايتَها والانتفاعَ منها–: **ومن ذَلِك جَميعُ ما صَنَّفهُ الشَّيخُ المُعظَّم**–:هذا على سبيلِ المثال–: **ومن ذَلِك جَميعُ ما صَنَّفهُ الشَّيخُ المُعظَّم شَمسُ الدِّين**–: هذه الإجازة الكبرى للعلّامة الحلّي أقرأُها من بحارِ الأنوار، الجزء الرّابع بعد المائة، وهذه الطبعة طبعة دار إحياء التراث العربي، وهذه الصفحة هي صفحة ٦٥:–**ومن ذَلِك**، يقول العلّامة الحلّي: **جَميعُ ما صَنَّفهُ الشَّيخُ المُعظَّم شَمسُ الدِّين مُحمَّد ابنُ مُحمَّد ابنِ أحمد الكيشي في العلوم العقليةِ والنقلية وما قرأهُ ورواه وأُجيز لهُ روايتهُ عنّي عنه وهذا الشَّيخ كان من أفضلِ علماء الشافعيّة وكان من أنْصَفِ النَّاسِ في البحث كُنتُ أقرأُ عليهِ وأُورِدُ عليهِ اعتراضات..** (إلى آخرِ الكلام) **ومن ذَلك جَميعُ ما صنَّفهُ شيخُنا السَّعيد نَجمُ الدين عليُّ ابنُ عُمر الكاتبي القزويني ويُعرف بدبيران وما قرأهُ ورواه أو أُجيزَ له روايتهُ عنَّي عنه كان من فُضلاء العصر وأعلمهم بالمنطق**، إلى أنْ يقول: **وكان من أفضلِ عُلماء الشافعيّةِ عارفاً بالحكمة**–: إذاً، نحنُ مع الشافعيّة!!

إلى أنْ يقول بعد ذلك في صفحة ٨٦–: **ومن ذَلك وبهذا الإسناد عن مُهذَّبِ الدّين ابن الحُسين ابنِ ردَّة جميعُ رواياتهِ ومُصنَّفاتهِ ومن ذَلِك جَميعُ مَسند أحمدِ ابنِ حنبل عنَّي عن والدي عن الشَّيخ عليّ ابن مُحمَّد ابن احمد ابن المندائيّ الواسطيّ عن والدهِ...:–** إلى آخرهِ من علماء المخالفين!!

وفي صفحة ٨٨–: **ومن ذلك** (من الكتب الَّتي يُجيزُها للسَّادةِ بني زُهرة) **ومِن ذَلِك كِتابُ الصَّحيح لِمُحَمَّد ابنِ إسماعيل البُخاري عنَّي عن والدي عن عليّ ابنِ المندائيّ الواسطيّ...:–** عن فُلان، عن فُلان، من علماء المخالفين!!

وفي صفحة ٩٠–: **ومن ذلك كتابُ الموطّأ تأليف مالك ابنِ أنس رواية مُحمَّد ابن الحسن فقيه الكوفه عنّي عن والدي عن عليّ ابن المندائي...:–** عن فُلان، عن فُلان من عُلماء المخالفين، والحبل عالجرّار.

أنا لا أُشكِل على العلامة الحلّي أنْ يكون مُطّلعاً على كتب مخالفي أهل البيت، أنا أيضاً أطلّعُ على كتبهم، وقد اطلّعتُ على الكثير والكثير من كتبهم في الحديثِ والسيرةِ والتأريخِ والتفسيرِ والفقهِ والعقيدةِ، وأحفظُ الكثير منها وأحفظُ الكثير من أحاديثهم، الاطّلاعُ على كتبِ مخالفي أهل البيت شيءٌ ضروري، لماذا؟ لأنَّ الأئمَّة جعلوا أحدَ الوسائل للتمييزِ أنْ نعرف ما يقولون فإنَّ الصَّوابَ في خلافهم..!! وأنْ نعرف الثقافة الَّتي تسرَّبت إلينا منهم، أنا لا أُشكل على هذه القضيّة، إنَّما أُشكل أنْ تُذكرَ هذه الكتب في الإجازات وتُساوَى بكتبِ أهل البيت مع هذا المديحِ والثناء على الَّذين أجازوه ونقل إجازاتهم إلى عُلماء الشِّيعةِ الآخرين، ألا تُعطي هذه القضيّة شُعوراً عند الَّذي يُراجع هذه الإجازات من طلبة العلم ومن عامّة الشِّيعة بمساواة هذه الكتب لكتب أهل البيت صلواتُ اللهِ وسلامُه عليهم أجمعين؟! لا أطيلُ الكلام ولكنْ أقول إمامنا الصَّادق صلواتُ اللهِ وسلامُه عليه هل يرضى بهذا؟! إمامُ زماننا الحُجَّةُ ابن الحَسن هل يرضى بهذا؟! أنا لا أدري، عُلماؤنا نُوَّابٌ عن إمام زماننا، فلماذا يتصرّفُ نائبُ إمام الزمان بشيءٍ لا يرضى عنهُ إمام الزمان..؟! رواياتهم وأحاديثهُم صلواتُ اللهِ وسلامُه عليهم أجمعين الكثيرةُ والكثيرةُ جدّاً تنهَى عن مثلِ هذا السلوك، لماذا يحدث هذا ؟! هذا البابُ فتَحَهُ الشَّيخُ الطوسيّ على أوسعِ ما يُمكن!!

وبقيت القضيّة متصلةً إلى زمنِ العلّامة، فبعد وفاة الشيخ الطوسيّ لم يأتِ عالِمٌ من العُلماء استطاع أنْ ينتقد الشَّيخ الطوسيّ أو أنْ يردّ على الشَّيخ الطوسيّ، كلّ الَّذين جاؤوا كانوا يُهلِّلون ويُطبِّلون ويُزمِّرون ويُصفِّقون لكلِّ الَّذي جاء به الشَّيخُ الطوسيّ، لذلك أكثر من مائة سنة–وهذه فترةٌ زمانيةٌ طويلة تنشأ عليها أُمم وليس أُمَّة واحدة–ونحن أمامَ منهجيّةٍ فقهيّةٍ مشحونةٍ بالفكرِ الشافعيّ!! ومنهجيّةٍ عقائديّةٍ مشحونةٍ بالتأثير الأشعريّ والمعتزليّ!! وتفسيرٍ قُرآنيٍّ مخالفٍ لتفسير أهل البيت!! الشَّيخ الطوسيّ هو الَّذي أسَّس

مدرسةَ التفسير في الوسط الشيعيّ ووضع منهجيّةَ التفسير في تفسيرِهِ التبيان، وهو تفسيرٌ مخالفٌ لأهل بيت العصمة صلواتُ اللهِ وسلامُهُ عليهم أجمعين، فبقيت هذه المنهجيّةُ عبر أكثر من مائة سنة ونشأت أجيال وأجيال وأجيال عليها.

وفي هذه الفترة الزمنيَّة ماذا كانوا يُسمّون الفُقهاء ؟ كانوا يُسمّونَهُم بالفقهاء المُقلِّدة، أي الذين يُقلِّدون الشَّيخ الطوسيّ، راجعوا كتب التراجم الَّتي كتبها علماؤنا ومراجعنا، ماذا كانوا يسمّون هذه الفترة الزمانية؟! أكثر من قرن، أكثر من مائة سنة، كانوا يُسمّونها بمائةِ الفقهاء المُقلِّدة، أو بقرن الفقهاء المُقلِّدة..!! والبعض يصطلحُ عليهِ بـ(عصرُ الركود)، ركود ماذا؟ ركود العقل، بأيِّ شيءٍ ركد؟ بالصَّنميَّة، بالصَّنميَّةِ للشَّيخ الطوسيّ ركدت العقول، وصار الفقهاء يُقلِّدُون الشَّيخ الطوسيّ، فلذلك بقي الفكرُ الطوسيّ الشافعيّ ينخرُ فينا إلى هذه اللحظة وإلى هذه الساعة!!

جاء ذكرُ التفسيرِ، وقبل أنْ أشير إلى التفسير، الآن لو أذهب إلى كتاب (جواهرُ الكلام)، وهو من أهمِّ المصادر الفقهيّةِ عند علمائنا المعاصرين، (جواهر الكلام في شرحِ شرائعِ الإسلام) للشيخ مُحَمَّد حسن النَّجفي، مؤلِّفُ الكتاب توفي سنة ١٢٦٦، ولكنَّ كتابهُ لا زال إلى يومنا هذا مصدراً من المصادر المهمّة جدّاً، خصوصاً للمراجع والمجتهدين والفقهاء الَّذين يُدرِّسون البحث الخارج، وهو أعلى طَور في الدراسة الحوزويَّة، الطبعةُ الَّتي بين يديّ هي طبعة مؤسسة المرتضى العالمية مع دار المؤرِّخ العربي، بيروت، لبنان، وهذا هو الجزء السَّادس، صفحة ٥٣، أنا آتي بمثالٍ هنا، كتاب جواهر الكلام ما هو بكتاب للفقهِ المُقارن، وإنْ كان الفقه المُقارن هو بدعةٌ جاء بها الشافعيّ، وحين تحدّثتُ في الحلقات الماضية عن كتابهِ (الأُمّ)، قُلت الأجزاء الأخيرة من كتابِ الأُمّ هي في الفقه المقارن، والشَّيخ الطوسيّ هو أوّل من كتب في الفقهِ المُقارن، وذلك في كتابهُ (الخلاف) وهو خلافُ الأدب مع أهل البيت..؟! كيف يُقارَنُ فقهُ أهل البيت مع فقهِ غيرهم؟! المُقارنة تكون إذا كان هناك وجهٌ للمقارنة، ولا يُمكن المُقارنة بين الهُدى والضلال!! كيف يُمكن أنْ تكون المُقارنة بين الهدى والضلال؟! المُقارنة تكون بين الهادي والأهدى!! بين المُهتدي والأكثر

هدايةً!! لا أنْ تكون بين الهدى والضلال!! على أيِّ حال، لا أريد الخوض الآن في هذه القضيّة، ولكن أقول لا زال الفقهُ المُقارنُ يُدرَّسُ في حوزاتنا ويفتخرون بهِ، وبغضِّ النَّظر عن موقفي من الفقهِ المُقارن، لكن كتاب جواهر الكلام ما هو بكتابٍ للفقهِ المُقارن، هو كتابٌ للاستدلال الفقهيّ الشيعيّ يقوم عليه عملُ الشِّيعة، صفحة ٥٣–: **وَقِيل–**: والكلام أين؟ في مباحثِ الخُمس ومبحثُ الخُمس مبحثٌ شيعي، ما علاقة الشافعيّ وأبي حنيفة:–**وَقِيل ولَم نَعرِف قَائِلَهُ مِنَّا** (يعني لا يوجد قائل شيعي)، **كَمَا اعترَفَ بهِ في المسالك–**: المسالك هو كتابٌ معروف بين العلماء، مسالكُ الأفهام أو مسالكُ الإفهام، مسالكُ الأفهام للشهيد الثَّاني وهو شرحٌ لكتابِ الشرائع للمحقِّق الحلّي:–**وَقِيل ولَم نَعرِف قَائِلَهُ مِنَّا كَمَا اعترَفَ بهِ في المسالك وغيرها** (وغيرها يعني الكتب الأخرى للشهيد الثَّاني)، **نعم هو مَحكيٌّ عن الشافعيّ وأبي حنيفة–**: هذا القول المحكيّ ما هو بقول عالِمٍ شيعي والموضوع موضوع الخُمس، والكتابُ ليس فقهاً مُقارناً، ما علاقةُ الشافعيّ وأبي حنيفة بفقهِ آلِ مُحَمَّد..؟! هذه القضيّة موجودة على طول الكتاب وعلى طول الكتب الشيعيّة، فهل يرضى إمامنا الصَّادقُ بذلك؟! إذا كُنتُم تقولون بأنَّ هذا فقهُ الصَّادق، وبأنَّ هذه الحوزة حوزة الصَّادق، وبأنَّنا تلامذةُ الصَّادق، وبأنَّنا نُمثِّلُ الصَّادق، هل يرضى جعفرٌ الصَّادقُ بهذا الطرح وبهذا الأسلوب؟! واللهِ لا يرضى، أحاديثهُ، ورواياتهُ، وسيرتهُ ترفضُ ذلك، من أين وصلَ هذا؟ جاءنا من البوّابة الَّتي فتحها الشَّيخُ الطوسيّ، فها هو فقهُنا مُطرَّزٌ بأسمائِهم أسماءِ المخالفين، وها هي إجازاتُ الحديثِ مشحونةٌ بهم وبكتبهم، وها هو منهجُنا العقائديُّ أشعريٌّ معتزليٌّ!!

وهذا كتاب: (تجاربي مع المنبر)، لشيخنا الوائلي رحمةُ الله عليه، الطبعة دارُ الزّهراء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، هذا الكتاب ألَّفهُ شيخنا الوائلي رحمةُ الله عليه في آخر أيَّامِه، ينقُلُ تجربتهُ مع المنبر، لمن؟ هو يقول في البداية–: **تجاربي مع المنبر–**: قطعاً لا نتوقّع أنَّ الشَّيخ الوائلي ينقل تجاربه مع المنبر للوهابيّة، إنَّما ينقلها لخَدَمة الحُسين، ولخطباء المنبر الحُسيني، في صفحة ٧، الإهداء–: **إلى أخوة الدرب** (درب الخدمة الحسينيَّة)، **إلى أخوة الدّرب الَّذين تتابعت قوافلهم في طريقِ أبي الشُهداء المُمتَد من يومِ شهادتهِ حتَّى**

السَّاعة وتوالت خُطاهم في قطعِ مراحل المسيرةِ على تفاوتٍ فيها من حيثُ وعورة الطريق وسهولته ومن حيث لينهِ وشدَّته، لقد مَشوا وهُم يحملون الحُسين للأجيالِ مثلاً أعلى في أفق الشهادة.. إلى آخرِ الكلام. فالشَّيخُ الوائليُ هنا يُقدِّم كتابهُ هديَّةً تحت عنوان (الإهداء) لخدَمَة الحُسين، ولخُطباء المنبر، ولمن يريدون أن ينتفعوا من تجربتهِ، وتعرفون أنتم الَّذين تأثّرتم بالشَّيخِ الوائلي في مدرستهِ الخطابيّة والمنبريّة، كثيرون جدّاً، يُمكن أنْ نقول بأنَّ أكثر خطباء المنبر الحُسيني تأثروا بالشَّيخ الوائلي واتّبعوا طريقتَه وها هو يُقدِّمُ لهُم تجربتهُ، في صفحة ١١١ تحت عنوان (**خطُواتي في المنهج**)، يعني المنهج الَّذي اتّبعهُ الشَّيخُ الوائلي في منبرهِ وفي خطابتهِ، فيجعل هذا في خطوات، يشرحها، ويُبيّنها لخطباء المنبر مِمّن يتبعون طريقته (**خطواتي في المنهج**)، صفحة ١١١، ويستمر يُحدِّثُنا عن خطواتهِ في المنهج إلى صفحة ١٢٣ يُبيّن شيخنا الوائلي منهجيّتهُ، في صفحة ١٢٣، السطور الأخيرة من الصّفحة–: **ويأتي من بعدِ أَئِمَّتِنا–**: يعني نحنُ في منهجيّتنا لانأخذ فقط من أئِمّتنا، بل نأخذ كذلك من غيرهم كما يقول الشَّيخُ الوائلي، وهذا هو خِلاف منهج أهل البيت، هو يقول هكذا:–**ويأتي من بعدِ أَئِمَّتِنا–**مَنِ الَّذين يأتون من بعدِ أئمَّتنا؟– **سَلَفُنا الصَّالِح سَدَنَةُ الإسلام وحَمَلَةُ عُلُوم الشّريعة وفُقهاءُ الأُمَّة ليكونوا من رُوّادنا** (يعني نحنُ نتّبعُهُم فهُم الرُوّاد) **لِيَكُونوا من رُوّادنا في طريقِ المنبر بإحياءِ ذكرى أبي الشُهداء كِتاباً وشعراً ومُمارسةً وعلى سبيلِ المثال لا الحصر، الشريفُ الرَّضي، والإمام الشافعيّ، والإمام أحمدُ ابنُ حنبل، وهكذا يتسلسلُ استعراضُ الواقعةِ من العصورِ الأولى إلى هذه العصور–**: هذا المنطقُ يرضى بهِ سيّدُ الشهداء؟! هذا المنطق يرضى به الحُجَّةُ ابن الحسن؟! هذا الكتاب كَتَبَهُ شيُخنا الوائلي لخطباء المنبر الحُسيني ولم يكتبه للوهابيّة، هذا هو منهجهُ الحقيقي، هذا هو المنهجُ الحقيقيُ المُتّبعُ في منابرنا الحُسينيَّة، واللهِ هذا هو المنهج، ولو أردنا أنْ نبحث عن تطبيقِ هذا الكلام سنجدهُ في كلِّ مجالس شيخنا الوائلي، وفي كُلِّ مجالسِ الخُطباء الآخرين. البوابةُ فتحها الشَّيخُ الطوسيّ فدخلت هذه الفكرةُ في فقهنا وفي حديثنا وعند كبار علمائنا وخطبائنا، على أنّه بعد أئمّتنا يأتي السّلفُ الصالح وهُم سَدَنةُ الإسلام وحَمَلَةُ العُلُوم، فمن هُم المقصودون؟ (**وعلى سبيلِ المثال لا الحصر الشريفُ**

الرَّضي والإمام الشافعيّ والإمام أحمدُ ابنُ حنبل وهكذا)، وهكذا أي والإمام أبو حنيفة، و، و، والبقية على هذا الوزن!!

والقضيّة لا تقفُ عند هذا الحدّ، السيِّد بحر العلوم في كتابهِ (الرِّجال) وهذا هو الجزء الثَّالث وهو يتحدَّثُ عن الشَّيخ الطوسيّ–: **شيخُ الطائفةِ المُحقَّة، ورافعُ أعلامِ الشّريعةِ الحقَّة**، إلى آخر الكلام الَّذي قرأتهُ قبل قليلٍ على مسامعكم:–**صَنَّفَ في جَميعِ عُلوم الإسلام وكان القُدوة في كلِّ ذلك والإمام، أمَّا التفسير فلهُ فيه كتابُ (التبيان) الجامع لعلوم القُرآن وهو كتابٌ جليلٌ كبير عديمُ النظير في التفاسير، وشيخنا الطبرسي إمامُ التفسير في كتبهِ إليهِ يزدلف** (يعني إلى تفسير التبيان) **ومن بحرهِ يغترِف وفي صَدرِ كِتابهِ الكبير** (يعني مَجمَعُ البيان تفسير الشَّيخ الطبرسي) **وفي صَدرِ كتابهِ الكبير بذلك يعترف وقد قال فيهِ إنَّهُ الكتابُ الَّذي يُقتبسُ منه ضياء الحقّ ويَلوح منه رواءُ الصّدق قد تضمَّن من المعاني الأسرار البديعة واحتضن من الألفاظِ اللغة الوسيعة ولم يقنع بتدوينها دون تبيينها ولا بتنميقها دون تحقيقها وهو القُدوة أستضيءُ بأنوارهِ وأطأُ مواقع آثارهِ–**: الى هنا انتهى ما نَقَلهُ السيِّد بحرُ العُلوم من كلام الشَّيخ الطبرسي في تفسيرهِ (مَجمَعُ البيان)، والملاحَظُ أنَّه لم ينقل بقيَّةَ الكلام، وهذه ظاهرة واضحة عند علمائنا، وهي ظاهرة البتر في الكلام..؟!

إذا ما ذهبتُ إلى كتاب (مجمع البيان) وهذا هو الجزء الأوّل، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، الجزء الأوّل من مجمع البيان، ماذا قال الشَّيخ الطبرسي؟ –: **قد تضمَّن.....فإنَّهُ الكِتابُ الَّذي يُقتَبَسُ منه ضِياءُ الحقّ.....** إلى أنْ قال: **وهو القُدوةُ أستضيءُ بأنوارهِ وأطأُ مواقع آثارهِ–**: إلى هُنا انتهى ما نَقَلَهُ سيِّدنا بحرُ العُلوم بشأنِ الطوسيّ، لكنَّ الطبرسي يستمر فيقول:–**غَيرَ إنَّهُ خَلَطَ في أشياء–**: يعني هُنا بدأ يذكُرُ عيوباً لتفسير التبيان، بينما السيّد بحر العلوم قَطع الكلام لأنَّهُ لا يريد أن يخرجَ عن مدحِ الشَّيخ الطوسيّ ، وهذه الظاهرة موجودة في كتب علمائنا بكثرة، إذا تتذكّرون في الحلقات الماضية قُلتُ بأنِّي أتعاملُ مع حديث أهل البيت على أنّ الأصل فيه الصّحة حتَّى يثبُت أنَّ الحديث ليس بصحيح، أمَّا الأصل في كلام

علمائنا من وجهةِ نظري فهو عدمُ الصَّحة حتى يثبتَ العكس، وهذا ناتجٌ من خبرةٍ طويلة تبيّنُ فيما تبيّن أنّ قضيّة الحذف والبتر موجودة وسأورد إنْ بقي وقت أمثلة، في هذه الحلقة أو في الحلقة القادمة، سأورد لكم أمثلة من كبار مراجعنا وهم يبترون الكلام، وهذا مصداق من المصاديق، وهو أنّ السيِّد بحر العلوم كان في مقام مدحِ كتاب الشَّيخ الطوسيّ، فذكر فقط ما قالهُ الطبرسي مادحاً، أمَّا القدح فلم يُشِر إليهِ، بَتَرَ الكلام وقَطَعه، فلنقرأْ ما قالَهُ الشَّيخ الطبرسي، وأنا نبّهت على هذه القضيّة لأجل أنْ تتذكروا ولأجل أن نربط هذه القضيّة مع قضايا أخرى كثيرة، لأنَّني أواجه هذه المسألة يوميّاً في كتبِ علمائنا ومراجعنا، أعني قضيّة البتر، وقضيّة البتر للمعلومات قد تكون بِحُسنِ نيّةٍ من قِبل العالِم، لكنَّ فيها خيانة عِلمية وخيانة دينية أيضاً..؟! حينما ننقلُ صُورةً كاملةً جميلةً عن هذا التفسير وفيهِ عيوب، وإنْ كانت العيوب الَّتي أشار إليها الطبرسي ما هي بعيوبٍ مهمّة بل عيوب لغويّة، ومع ذلك السيّد بحر العلوم بترها وقطعها، فماذا قال الطبرسي؟–: (**غَير أنَّهُ خَلَطَ في أشياء مِمَّا ذكرَهُ في الإعراب والنّحو الغثَّ بالسَّمين والخاثِر بالزباد ولم يُميّز بين الصّلاح مِمّا ذكرهُ فيه والفساد**، إلى آخرِ الكلام)، يعني الطبرسي صحيح أنّه مَدَح تفسير التبيان ولكنَّه أيضاً أشكل عليه، فلم يُذكَر هذا الإشكال في كلام السيِّد بحر العلوم رضوان الله تعالى، نبّهت إلى هذه القضيّة لأنَّني أواجهُ هذه المشكلة على طول الخط في كتبِ علمائنا ومراجعنا، وهذا هو الَّذي يدفعني إلى أنْ أبحث عن أصول الكلام، فحين أقرأُ في كتابِ الرِّجال للسيِّد بحر العلوم لا أكتفي بكلامهِ بل أذهب إلى المصدر الأصلي، وفعلاً حين أرجع إلى المصدر الأصلي أجد أنَّ الكلام يختلف، فهُنا السيِّد بحر العلوم، رضوان الله تعالى عليه، حين نقلَ الكلام نقلَ المدح فقط، فماذا تعطي هذه الصُورة؟!

تُعطي هذه الصورة: أنَّ الشَّيخ الطبرسي ليس عندهُ من إشكالٍ، ليس عندهُ من قدحٍ أو نقدٍ على كتاب التبيان، بينما الرّجل عندهُ نقد وعندهُ قدح أشار إليهِ..؟! لكن مشكلة الشيخ الطبرسي ليست هنا، مشكلة الشَّيخ الطبرسي أنَّه ينقل الأشياء الفاسدة في تفسير التبيان وهو أيضاً يتبناها، على سبيل المثال نأخذُ مثالاً:

ما ذكرهُ الشَّيخُ الطوسيّ في التبيان، هذه الطبعة منشورات ذوي القربى، وهذا المجلَّد الرَّابع، ما ذكرهُ في صفحة ١٦٥، ١٦٦، الكلام الَّذي تقدَّم في الحلقات الماضية ما يتعلّق بسهو النَّبي، وبالتالي بسهو أمير المؤمنين وسائر الأئمَّة المعصومين، إلى أنْ قال–: (**وينسُون كثيراً من مُتصرّفاتِهم أيضاً وما جرى لهُم فيما مضى من الزَّمان والَّذي ظَنَّهُ فاسد–**: أي الَّذي ظَنَّهُ الجبّائي، أقرأ كلامَهُ مرَّة ثانية رُبَّما البعض نسي ما قالهُ الطوسيّ:–**واستدلَّ الجَبَّائي أيضاً بالآية–**: الجبّائي من عُلماء المخالفين، الآية الثامنة والستون: (**وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلاَ تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى** .. إلى آخرِ الآية) **واستدلَّ الجَبَّائيُ أيضاً بالآية على أنَّ الأنبياء يَجوزُ عليهم السَّهو والنّسيان، قالَ بِخلاف ما يقولهُ الرَّافضة بزعمِهِم من أنَّه لا يجوز عليهم شيءٌ من ذلك–**: الجبّائي يقول بأنَّ الآية تُشير إلى سهو النبي (**وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ**) فالآيةُ مُخالفةٌ ومُعارضةٌ لعقيدةِ الرّافضة الَّذين يقولون أنَّ الأنبياء لا يسهون ولا ينسون، ماذا يردّ عليهِ شيخنا الطوسيّ؟ وقُلنا هذا الكتاب كتاب متأخّر، والكتب الَّتي نفى فيها السهو عن المعصوم كانت مُتقدِّمة، هذا رأيهُ الأخير:–**وهذا ليس بصحيحٍ أيضاً لأنَّا نقول إنَّما لا يجوز عليهِم السَهو والنسيان فيما يؤدّونَهُ عن الله فأمَّا غير ذلك فإنَّه يجوز أنْ ينسوه أو يسهوا عنه مِمّا لم يؤدِّ ذلك إلى الإخلالِ بكمالِ العقل وكيف لا يجوز عليهم ذلك وهم ينامون ويمرضون ويُغشى عليهم والنومُ سهوٌ وينسُون كثيراً من مُتصرّفاتِهم أيضاً وما جرى لهُم فيما مضى من الزَّمان والَّذي ظَنَّهُ فاسد**)، أي والَّذي ظنَّهُ الجبّائي فاسد.

هذا هو (مجمعُ البيان في تفسير القرآن) مؤسسة الأعلمي وهذا هو الجزء الرَّابع، صفحة ٨١، في ذيل نفس الآية الثَّامنة والستون من سورة الأنعام (**وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ**) ماذا يقول الطبرسي؟–: **قال الجبّائي–**: نفسُ الكلام،استنساخ ، هذا التفسير أساساً هو استنساخ لتفسير التبيان، وتفسير التبيان هو استنساخ لتفاسير المخالفين الطبري وغير الطبري، هذه هي الحقيقة!!:–**قال الجبّائي وفي هذه الآية دِلالةٌ على بطلان قولِ الإماميّة في جواز التقيّةِ على الأنبياء والأَئِمَّة وأنَّ النسيان لا يجوز على الأنبياء وهذا القول غير صحيح–**: قضيّة التقيّة باعتبار أنَّهُ (**وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا**) يعني هو جالسٌ مع

أعداء الدين من هُنا يشير إلى التقيّة، أنا لا أريد أنْ أتحدّث عن كلِّ التفاصيل:–**وأنَّ النسيان لا يجوز على الأنبياء وهذا القول غير صحيح** (من الَّذي يقول؟ الشَّيخُ الطبرسي يرد على الجبّائي) **وهذا القولُ غيرُ صحيح ولا مُستقيم لأنَّ الإماميّة إنَّما تُجوِّزُ التقيَّة على الإمام فيما تكون عليه دلالةٌ قاطعة**.. إلى أنْ يقول: **وأمَّا النّسيان والسّهو فلم يُجوّزوهُما عليهم فيما يؤدّونَهُ عن الله تعالى** (في دائرة التبليغ) **فأمَّا ما سِواه فقد جَوّزوا عليهِم أنْ يَنسُوه أو يسهو عنه ما لم يُؤدِّ ذلك إلى إخلالٍ بالعقل، وكيف لا يكونُ كذلك وقد جوّزوا عليهم النّوم والإغماء وهُما من قَبيل السّهو فهذا ظنٌّ منه فاسد** (والإضافة الَّتي أضافها:–**وإنَّ بعضَ الظَنِّ إثْم**–: فقط هذه الإضافة)، نفسُ الكلام، يعني المعايب الموجودة في تفسير التبيان، العقائد الضالّة، العقائد المُقصِّرة، نفس الشيء موجودة في مجمع البيان، ومن هُنا عُلماؤنا خصوصاً في الحوزة النجفيَّة يعتبرون المصدر الرئيس والرسميّ للتفسير الشيعيّ هو مجمعُ البيان، وحتّى السيّد البروجردي بعد أنْ أهدى كتاب المبسوط لشيخ الأزهر، كذلك أهدى لجمعية التقريب تفسير مجمع البيان ومدّهُم بالأموال لطباعتهِ وطبعوه في مِصر، وقد مدحوه مدحاً كبيرا!! ولو كان تفسيراً لأهل البيت ما مدحوه، كل هذا يجري تحت عنوان في سبيل الوحدة الإسلامية!! مُرادي أنَّ منهجيّة الشَّيخ الطوسيّ في التفسير هي الَّتي صارت منهجيّةً لعلماء الشِّيعة وإلى يومك هذا، فكُلِّ التفاسير الموجودة تعتمد على مجمع البيان، الآن إذا أردتُم أنْ تُتابِعوا مجالسَ شيخِنا الوائلي وسائر الخطباء، تجدون أنّهم إذا أرادوا أنْ ينقلوا عن كتابٍ شيعي فإنّهم ينقلون عن مجمع البيان!!

- **أتعرفون كيف ألَّف الطبرسيُ مجمع البيان؟**

إنَّهُ جَمَع تفاسير المخالفين جميعاً ولخّصها، ثُمَّ لخّصَ قسماً من حديث أهل البيت وليس كلّ حديث أهل البيت، وأضاف إليهِ الكمَّ الهائل الَّذي لخّصهُ من التفاسير الكثيرة للمخالفين، ولذلك إذا تقرأون الكتاب ستجدون عند كلِّ آيةٍ آراءً كثيرة للمخالفين، ومن جُملتها يأتي ذكرُ كلامٍ عن إمامنا الباقر أو عن إمامنا الصَّادق رأساً برأس مع القوم!! فأكثر ما في الكتاب هو من تفاسير المخالفين. طبعاً يضحكون على النَّاس

بإيراد هذه القصّة، أنَّهُ كان قد مات أو أصابتهُ سكتة فدفنوه، وأحسَّ أنَّهُ حيّ فخرج، وكان قد نذر وهو في القبر أنْ يكتُب تفسيراً. هذه القِصَّة هي حقيقةً لعالِمٍ سُنِّي وهم يُلصِقُونَها بالطبرسيّ وكأنّها كرامة، ما الكرامةُ في ذلك!! رجلٌ أصابتهُ سكتة أو مات ورجع للحياة مرّة ثانية فهل يعني أنَّهُ إذا كتبَ كتاباً في التفسير فهذا يدلُ على سلامة التفسير؟! هذا الكلام يذكرونهُ على المنابر أو في مُقدِّمة الكتاب أو يذكرونه لطلبة العلم أو في دروس التفسير وكأنّهُ كرامة من الكرامات، وأيُّ كرامةٍ في ذلك؟! واللهِ لو بقي في قبرهِ، هيَ القِصَّة غير صحيحة، لكن على فرض صحّتها، لو بقي في قبرهِ وبقي ميّتاً لكان خيراً لهُ من كتابة هذا التفسير المخالف لأهل البيت صلواتُ اللهِ وسلامُه عليهم أجمعين.

هذا كتاب (في سبيل الوحدة الإسلامية) للسيّد مرتضى الرّضوي، دارُ الهادي، صفحة ١٣٢، الأزهر، مكتب الإمام الأكبر، ١٣٧١، ١٩٥٣ ميلادي، ينقل عن شيخُ الأزهر عبد المجيد سليم، بعد المُقدِّمة–: **والصَّلاةُ والسَّلام على سيِّدنا مُحمَّدٍ وعلى آلهِ وصَحبهِ الهُداة الرَّاشدين، أمَّا بعد: فإنَّ كِتابَ (مَجمعُ البيان لعلوم القُرآن) الَّذي ألَّفهُ الشَّيخُ العلّامة ثِقةُ الإسلام أبو عليّ الفضلُ ابنُ الحَسن ابنُ الفضل الطبرسي من علماء القرن السَّادس الهجري هو كتابٌ جليلُ الشأن غزير العلم كثيرُ الفوائد حَسنُ الترتيب لا تحسبني مُبالغاً إذا قُلت أنَّهُ في مُقدِّمةِ كُتب التفسير الَّتي تُعدّ مراجع لعلومهِ وبحوثهِ، ولقد قرأتُ في هذا الكتاب كثيراً ورجعتُ إليهِ في مواطن عِدَّة فوجدتهُ حلّال مُعضلات كشّاف مُبهِمات ووجدتُ صَاحِبَهُ رَحِمَهُ الله عَميق التفكُّر عظيم التدبُّر**... إلى آخرِ الكلام. أقول، لو كان هذا التفسير تفسيراً لأهل البيت هل يقول شيخُ الأزهر هذا الكلام عنه؟! واللهِ لا يقوله!!

هُناك مقالٌ طويلٌ عريض، كتَبَهُ الشيخ محمود شلتوت، المقال يبدأ من صفحة ١٦٠، وينتهي في صفحة ١٧٧، لا أستطيع أنْ أقرأ المقال عليكم بكلِّه لكنَّني فقط أشير إلى سطور قليلة–: **على أنَّنا نَجِد الإمام الطبرسي في بعضِ المواضع يمرُّ على ما هو من روايات مذهبهِ ويُرجِّح أو يرتضي سِواه–**: هذا هو تفسيرُ مجمع البيان وهذه حقيقة واضحة، وهذه المواطن الَّتي أشار إليها الشيخ محمود شلتوت، شيخ

الأزهر، هذه نقلها الطبرسيّ عن التبيان للشَّيخ الطوسيّ، والله نقلها عن التبيان، لو نرجع إلى التبيان، أنا ما عندي وقت وإلَّا هذا هو تفسير التبيان وهذا تفسير الطبرسي، ما عندي وقت أنتُم ارجعوا لهما إذا أردتُم أنْ تتأكدوا، هذه المطالب الَّتي يُشير إليها شلتوت في الطبرسي ويمدح كتاب الطبرسيّ لأجلها هو الطبرسيّ نقلها عن الطوسيّ، فمشكلتنا بدأت من الطوسيّ:–**على أنَّنا نَجِدُ الإمام الطبرسي في بعضِ المواضع يمرُّ على ما هو من روايات مذهبهِ ويُرجِّح أو يرتضي سِواه، ومن ذلك أنَّهُ يقول في تفسيرِ قولهِ تعالى: (اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ) وقِيل في معنى الصِّراط المستقيم–**: ويُعدِّد ما جاء في روايات أهل البيت وما جاء عن المخالفين ولكنَّهُ ماذا يختار؟ يقول:–**والأَولَى حَملُ الآيةِ على العُموم–**: يعني يُرجِّح ما جاء عند المخالفين على ما جاء عند أهل البيت في معنى الصِّراط المستقيم!! الصِّراطُ المستقيم هو عليٌّ، هذا هو الَّذي عند أهل البيت، والطبرسي يُرجِّح قول المخالفين على هذا القول، وهو ينقلُ ذلك نصّاً عن كتابِ التبيان للشيخِ الطوسيّ.. إلى آخرِ الكلام.

هذه المقالة مقالة شلتوت من الضروري أنْ تُقرأ بكاملها، ولكنَّني لا أجدُ وقتاً لقراءتها، حتَّى تعرفوا ماذا فعل بِنا عُلماؤنا ومُفسِّرونا. وهؤلاء مشايخ الأزهر، هل تعتقدون أنَّ مشايخ الأزهر يمدحون كتاباً هو لأهل البيت فعلاً..؟! إنَّهم لا يمدحون كتاباً لأهل البيت، إنَّهم يمدحون كتاباً من كتبهم، مثل قضيّة كتاب (المبسوط)، وهو بضاعتُهم رُدَّت إليهم، (مَجمَعُ البيان) أيضاً في الأعمِّ الأغلب هو حديثُ المخالفين ما هو حديُث أهل البيت صلواتُ اللهِ وسلامُه عليهم أجمعين، وأنتُم مَيِّزوا أين هو المنطقُ الشَّيطانيّ وأين هو المنطق الرَّحمانيّ..؟!

بلغَني عن أحدِ المراجع الكبار في النَّجف وهو يستمعُ إلى أحاديثي في هذه الحلقات ويبدو أنَّ شخصاً طلب منهُ ردَّاً على ما أقول، بلغني أنَّ حديثه في المجلس كان يدور بأنَّ الكلام الَّذي يقولهُ هذا الرَّجل موجودٌ في كتبنا، وإنَّنا لا نستطيع أنْ نُكذِّبَ هذه الأقوال، لكنَّهُ مع هذا خَتَم بقوله بأنَّ الشَّيطان هو الذي ينطقُ على لساني!! أنا لا أستبعدُ ذلك، و قد قُلتُ من أوّل حلقة: هناك منطقان منطقٌ رحماني ومنطقٌ

شيطاني، فقد يكون منطقي منطقاً شيطانياً وقد تحدّثتُ عن هذه القضيّة بالتفصيل، أبداً لا أستبعدُ ذلك، فيما بيني وبين نفسيّ إنَّني لا أعتقد أنَّ هذا المنطق الَّذي أتحدّثُ به هو من منطق الشَّيطان، هذا فيما بيني وبين نفسيّ، ولكن في علم الإمام الحُجَّة ما هو؟ لا أدري، فلربّما يكونُ كلامُ هذا المرجع صادقاً أنَّ هذا المنطق الَّذي أنطقُ بهِ هو منطقٌ شيطاني، لكنَّني فقط أقول: إذا كان هذا المنطقُ منطقاً شيطانيّاً وهو يعتمدُ على الحقائقِ والوثائق، فيبدو أنَّ الشَّيطانَ هو أكثر عِلماً من مرجعنا هذا، وإذا كان الشَّيطانُ أكثر علماً من هذا المرجع، فكيف يريد أن يقود الأُمَّة في مواجهة الشَّيطان؟! أليس إشكالنا الكبير على خلافة الأوّل أنَّه كان يقول يعتريني الشَّيطان، إنَّ لي شيطاناً يعتريني ونُناقشُ القوم بأنَّ إبليس يعرفُ ويعلمُ بكلِّ الخير والشرّ، لأنَّ إبليس يأمرُ بكلِّ الشرّ وينهى عن كلِّ الخير، فكيف يأمر بكلِّ الشرّ وهو لا يعرفهُ؟ وكيف ينهى عن كلِّ الخير وهو لا يعرفهُ؟ فلابُدَّ أنَّ إبليس يعرفُ كُلَّ الخيرِ ويعرفُ كُلَّ الشّر، لذلك ينهى عن كلِّ خيرٍ ويأمُر بكلِّ شر، فلذا نقول لهم بأنَّ خُلفاءكم كانوا يجهلون المسائل البسيطة، فكيف يقِفُون في مواجهة إبليس الَّذي هو أعلمُ منهم، كيف يقودون الأُمَّة، فأنا أقول هذا الكلام نفسهُ أقول لهذا المرجع الكريم العزيز: إذا كان هذا المنطقُ منطقاً شيطانياً وهو يعتمدُ على الحقائقِ والوثائق، فهذا المنطقُ يبدو من خلالهِ أنَّ الشَّيطان سيكون أعلم منك، منك أو من غيرك بشكل عام، أنا لا أقصدك شخصياً، فإذا كان الشَّيطانُ أعلم فكيف يا مرجعنا العظيم العزيز تقودُ الأُمَّة في مواجهةِ الشَّيطان؟!

وشيءٌ آخر في أحاديثِ أهل بيت العصمة صلواتُ اللهِ وسلامُه عليهم أجمعين، أنا لا أقول هذا دِفاعاً عن نفسيّ، فلستُ أُبالي وربّما يكون منطقي منطقاً شيطانياً، إنَّما هو لتوضيحِ الحقائق، ولبيان المطالب الصحيحة. في رواياتنا إذا أراد الله برجُلٍ خيراً، ماذا يفعلُ بهِ وله؟ (**إِذَا أَرَادَ اللهُ بِرَجُلٍ خَيراً بَصَّرَهُ بِمَواضِعِ الشَّيْطَان**)، فإذا بَصَّرَهُ بمواضعِ الشَّيطان كان أعلمَ من الشَّيطان، لأنَّ الرِّوايات تستمر فتقول: (**إِذَا أَرَادَ اللهُ بِرَجُلٍ خَيراً بَصَّرَهُ بِمَواضِعِ الشَّيْطَان**)، (**إِذَا أَرَادَ اللهُ بِرَجُلٍ خَيراً بَصَّرَهُ بِعُيُوبِ الدُّنْيَا**)، (**إِذَا أَرَادَ اللهُ بِرَجُلٍ خَيراً بَصَّرَهُ بِعُيُوبِ نَفسِه**)، (**إِذَا أَرَادَ اللهُ بِرَجُلٍ خَيراً جَعَلَهُ عَلَى هذا الأَمْر**) أي على ولاية إمامِ زمانِنا،

(**إِذَا أَرَادَ اللهُ بِرَجُلٍ خَيراً فَقَّهَهُ فِي الدِّين**)، الفقاهةُ هي هذه، الفقاهةُ هي أنْ يكون الفقيهُ أعلمَ من الشَّيطان، نحن إذا جمعنا هذه الرِّوايات وهذه الأحاديث نجدها تُشير إلى أنَّ الفقاهة تعني أنَّ الفقيهَ أعلمُ من الشَّيطان، لذلك الأئِمَّة وصفوه فقالوا: (**لا تَهجُم عَلَيهِ اللَّوابِس**)، اللوابس قد تكون من الشَّيطانِ أو من الإنسان، فالفقيهُ هو هذا الفقيه الَّذي لا تهجمُ عليه اللوابس، لا أنْ يتسرّب فكرُ الشافعيّ عبر الشَّيخ الطوسيّ بقصدٍ حَسَنٍ أو بقصدٍ سيّءٍ، ثُمَّ يتسرَّبُ إلى هذا الخطِّ المُمتدّ من ذاك الزمان وإلى يومِك هذا، نعم، الفقيهُ لا تهجمُ عليه اللوابس، لذا أقول وبصدقٍ أعيدوا النَّظر، أعيدوا النَّظر، أعيدوا النَّظر، في تقييمِ الفقهاء..!!

نذهب إلى فاصل وأعود بعد ذلك لإكمال حديثي.

بقيت عندي ملاحظة صغيرة تعليقاً على ما تقدّم من أنَّ الشَّيخ الطوسيّ أخذ أصول الأشاعرة والمعتزلة وأضاف إليها الإمامة، وقُلتُ بأنَّهُ لا يُوجد في القُرآن الكريم ولا في حديث أهل البيت لا عين ولا أثر عن أنَّ أصول الدين خمسة، وإنْ صارت هذه من الثّوابت، وهذه الثّوابت تسرّبت إلينا من بوابة الشَّيخ الطوسيّ. الدين عند أهل البيت صلواتُ اللهِ وسلامُه عليهم أجمعين، له أصلٌ واحد وهو الإمام المعصوم. هذا هو (الكافي الشريف) والحديثُ عن إمامنا الرِّضا صلواتُ اللهِ وسلامُه عليه يقول–: (**إنَّ الإِمَامَة أُسُّ الإِسْلامِ النَّامِي وفَرعُهُ السَّامِي**)–: هذا هو أساسُ الدين، وهذا هو أصلُ الدين، هو أصلٌ واحد. الحديث في الكافي الجزء الأوّل، دار الأسوة للطباعة والنشر، إيران، صفحة ٢٢٤، بابٌ نادرٌ جامعٌ في فضلِ الإمام وصفاتهِ، الحديثُ الأوّل عن إمامنا الرِّضا صلواتُ اللهِ وسلامُهُ عليه:–(**إنَّ الإِمَامَة أُسُّ الإِسْلامِ النَّامِي وفَرعُهُ السَّامِي**)–: يعني هي الأصول وهي الفروع، وهذا التقسيم بأنّ أصول الدين خمسة، وأنّ فروع الدين عشرة لا أثر لهُ، واللهِ لا أثر لهُ لا في الكتابِ الكريم ولا في حديث أهل البيت، هذا جاءنا من المخالفين، وثبَّتهُ عُلماؤنا!! ما في روايات أهل البيت هو غير ذلك:–(**إنَّ الإِمَامَة أُسُّ الإِسْلامِ النَّامِي وفَرعُهُ السَّامِي**)–: الأصول والفروع هي في الإمامة لماذا؟ لأنَّ العبادات هي مظاهرُ للإمام فهي الفروع.

في (بصائر الدرجات) لشيخنا أبي جعفرٍ الصّفار، من أصحابِ إمامنا العسكري صلواتُ اللهِ وسلامُه عليه، يقول إمامنا الصَّادق في رسالة مفصّلة للمُفضَّل ابن عُمر–: (**ثُمَّ إِنِّي أُخْبِرُك أنَّ الدِّينَ وأصلَ الدّينِ هُو رَجُل، وَذَلِكَ الرَّجُل هو اليَقين، وهُو الإِيْمَانُ، وهُو إِمامُ أُمَّتِهِ وأَهْلِ زَمَانِه، فَمَن عَرَفَهُ عَرَفَ الله، ومَن أَنْكَرَهُ أَنْكَرَ الله ودِينَه**)–: هذا هو الأصل، في ثقافة أهل البيت أصلُ الدين واحد، ما هو أصل دِيننا؟ هو الحُجَّةُ ابنِ الحسن العسكري وانتهينا، من أراد الله بدأ بهِ، ومن وحَّدهُ أخذ عنه وقَبلَ عنه، ومن قَصَدَ الله تَوجّه إليه (**أينَ وَجهُ اللهِ الَّذي إِلَيهِ يَتَوجَّهُ الأَولياء**). وهذا منطقُ القُرآن، دعونا من الأسانيد، الأئِمَّة قالوا اعرضوا الحديث على القُرآن، هذا هو منطقُ القُرآن، ماذا يقول القُرآن؟

نذهب إلى الآية السابعة والستين من سورة المائدة، ماذا تقول هذه الآية؟–: (**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ**)، ما هي رسالتُه؟ التوحيد، النُبُوَّة، القُرآن، الشريعةُ بكُلِّها، إنْ لم تفعل أي إنْ لم تُبلِّغ إمامةَ عليٍّ فما بلَّغت رسالته، وهذه الآية هل عند الشِّيعة شكٌّ في أنَّها نزلت في عليٍّ؟! هل هُناك شيعي يشكُّ في أنَّ هذه الآية نزلت في عليٍّ ونزلت بخصوص موضوع الإمامة، هل هناك شكٌّ في ذلك؟! فالإمامةُ إذاً هي الأصل، هذا هو منطقُ القرآن، (**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ**) فأين هذا التقسيم؟ التوحيد، العدل، النبوّة...إلخ، وإن لم تفعل، إن لم تبلّغ الإمامةَ فما بلّغت رسالته، هذا هو منطقُ القُرآن.

وهذا منطقُ جعفر ابنِ مُحمَّد الصَّادق:–(**ثُمَّ إِنِّي أُخْبِرُك أنَّ الدِّينَ وأصلَ الدّينِ هُو رَجُل**)–: هل لديننا أصول متعدّدة؟ كلَّا، دِينُنا لهُ أصلٌ واحد، أصول الطوسيّ هذه أصوله، أصلُ الدينِ واحد وهو الحُجَّةُ ابنُ الحَسن العسكري، (**أينَ وَجهُ اللهِ الَّذي إِلَيهِ يَتَوجَّهُ الأَولياء**)، الأصل هو الَّذي يتمُّ التوجّه إليهِ كاملاً وحقيقةً، هذا هو الدين وهذا كلام الصَّادقِ صلواتُ اللهِ وسلامُه عليه، وكما قال إمامنا الرِّضا صلواتُ اللهِ وسلامُه عليه الإمامةُ أسُّ الإسلام النَّامي وفرعهُ السَّامي.

لا أريد أنْ أُطيل الحديث أكثر من ذلك فوقتُ البرنامج أنتهى، تَتمَّةُ الحديث تأتينا في الحلقة القادمة ولكن الخُلاصة:

- **ما هي الخلاصة الأخيرة من هذه الحلقة؟**
- **لماذا استمرَّ تأثير الشيخ الطوسيّ؟ ذكرتُ سببين وبقيَّة الأسباب أذكرها في حلقةِ يوم غد:**

السَّببُ الأوّل–: قُوَّة مرجعيّتهِ وقد جاءت امتداداً لقوّة مرجعيّة المفيد والمرتضى، والسببُ الكبير في ذلك هو تغيُّر الوضع السياسيّ لصالح الشِّيعة ممّا أدّى إلى قُوَّة هذه المرجعيّات.

السَّببُ الثَّاني–: هو نبوغ وذكاء الشَّيخ الطوسيّ الواضح والمميَّز مع تفرُّدهِ في الزعامة العلميّة ومع إيجادهِ لمنهجيّةٍ جديدةٍ تقتربُ من ساحة الغالبِ وتفرُّ من ساحة المغلوب، تقترب من ساحة عُلماء السُلطة، على المستوى الفقهيّ، وعلى المستوى العقائديّ، وعلى المستوى التفسيري، وعلى سائر المستويات الفكريةِ الأخرى.

أكتفي بهذا القَدَر، تَتِمَّة الحديث تأتينا في حلقةِ يوم غد، ولكن دائماً تذكروا وميّزوا أينَ هو المنطقُ الرَّحمانيّ وأينَ هو المنطقُ الشيطانيّ، هُناك ناطقان، ناطقان، ناطقان، ناطقان كما يقول جواد الأئِمَّة–: **(مَن أَصْغَى إِلَى نَاطِقٍ فَقَد عَبَدَه)** إلى أيِّ ناطقٍ تصغون؟ **(إِنْ كَانَ النَّاطِقُ يَنْطِقُ عن الشَّيْطَان)**، **(وإِنْ كان النَّاطِقُ ينْطِقُ عَن الرَّحْمن)**، فمن أصغى إلى ناطقِ الشيطانِ فقد عَبَد الشَّيطان ومن أصغى إلى ناطقِ الرحمن فقد عَبَد الرّحمن، وأيضاً **(طَلَبُ الْمَعَارِفِ مِن غَيرِ طَرِيقِنَا اَهْلِ البَيت مُسَاوِقٌ لِإِنْكَارِنَا)**، مُساوق يعني مساوي وهذا مايعنيه إمامُ زمانِنا صلواتُ اللهِ وسلامُه عليه.

ألقاكم غداً نفسُ الموعد، بثٌّ مباشر، نفسُ الشاشة.. القمر الفضائية.

أَترُكُكُم فِيْ رِعَايَة القَمَر صَلواتُ اللهِ عَلَيه.. سَلاماً يَا قَمَر..

أَسألُكم الدُّعَاء جَمِيْعَاً.. فِيْ أَمانِ الله..

---

* ملفّ الكتاب والعترة – الجزء الثالث: الكتابُ الناطق، متوفّر بالفيديو والأوديو على موقع زهرائيّون www.zahraun.com